

القراءات القرآنية وأثرها في بيان معاني آيات التربية الخلقية في سورة الحجرات Quranic recitations and their impact on the meanings of the verses of moral education in Surat Al-Hujurat

د. منير الزبيدي

جامعة الملك فيصل السعودية

alzubaidi73@yahoo.com

تاريخ الوصول: 2018/10/22 / القبول: 2019/03/06 / النشر على الخط: 2019/03/15

Received: 22/10/2018 / Accepted: 06/03/2019 / Published online: 15/03/2019.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز معانٍ جديدة لأثر تنوع القراءات القرآنية في سياق آيات التربية الأخلاقية في سورة الحجرات، وقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد خلصت الدراسة إلى عدّة نتائج، منها: أن الاختلاف في القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وأن كل قراءة منها تبين وتضيف معنىً جديداً، وكما أظهر اختلاف القراءات جمال التربية الخلقية من خلال المعاني الجديدة التي أضافتها في كل مقطع من مقاطع السورة الكريمة، وألقت الدراسة الضوء على عظمة القرآن الكريم واعجازه المنبثق من تنوع وتعدد قراءاته.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية؛ التربية الأخلاقية؛ سورة الحجرات.

Abstract

This study aims to highlight the new meanings of the impact of the diversity of Quranic Recitations in the context of moral education in through Surah Al-hujurat. The researcher used the inductive analytical method. The study found several results, including: That the difference in Quranic Recitations is a difference of diversity, not a difference of antagonism, and that each Quranic Recitations shows and adds a new meaning. As demonstrated by the different readings of the beauty of education moral education through the new meanings added in each section of the Koran. The study sheds light on the greatness of the Holy Quran and its miracles arising from the diversity and multiplicity of its Recitations.

Keywords: Quranic recitations; moral education; Surat AL-hajarat.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن المجتمعات على اختلاف ثقافتها تهتم اهتماماً بالغاً بالتربية الخلقية؛ لقناعتها أن سرّ بقاءها وتطويرها لذاقتها لا يتحقق إلا من خلالها. وكلما ارتقى المجتمع في سلم الحضارة ازدادت حاجته إلى التربية، فهي ضرورة فردية واجتماعية، لا يستطيع الفرد والمجتمع الاستغناء عنها. والتربية الخلقية هي أساس تماسك المجتمع وتربطه، وبدونها تعم الفوضى، وتقطع الأواصر والروابط، وينتشر الظلم، وتغيب العدالة، وتضيع الحقوق، وفي النهاية يؤول المجتمع إلى الدمار والهلاك.

والقرآن الكريم دستور أخلاقي لا نظير له ولا مثيل، فله منهجها الخاص في بناء التربية الخلقية للفرد والجماعة، وهذا ما بدا واضحاً وجلياً في سوره وآياته الكريمة. من هذه السور سورة الحجرات التي اشتملت على جملة من الآداب الخلقية الخاصة والعامّة.

ونظراً لتعدد القراءات الواردة في السورة الكريمة، وما لها من أثر في التفسير وبيان المعنى، كما يقول ابن عاشور: "إن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة"⁽¹⁾ والمعنى إما أن يكون واضحاً وجلياً، أو يكون له علاقة خفية غير واضحة، يمكن التوصل إليها بمزيد من الدراسة والتأمل في ضوء فهم معاني الألفاظ وسياقها القرآني لتحديد دلالتها بدقة، فلغة القرآن لغة محكمة ذات نظام خاص في المفردات والتراكيب والإيقاع، ودلالة كلماتها لها ظلال وإيحاءات تظهر حسب نسق وسياق الآيات، فلا يكفي لتحديد دلالتها الرجوع إلى المعاجم اللغوية فقط، بل لا بد من الرجوع فيها إلى النص، والسياق، والجو العام للآيات. ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "القراءات القرآنية وأثرها في بيان معاني آيات التربية الخلقية في سورة الحجرات"؛ ليكشف الباحث من خلالها على المعاني الجلية والخفية في ضوء تعدد القراءات الواردة في سياق الآيات التي تناولت هذا الموضوع.

إشكالية الدراسة

تحاول الدراسة أن تجيب عن السؤال الرئيس الآتي:

هل هناك أثر لاختلافات القراءات القرآنية على معاني الآيات الاخلاقية والتربوية في سورة الحجرات.

أهمية الدراسة

تكن أهمية الدراسة كونها من الدراسات المتعلقة بكتاب الله وتفسيره، ومن ثم إدراك المعاني المترتبة من أثر تعدد القراءات في سياق الآيات التي تناولت التربية الأخلاقية في سورة الحجرات.

حدود الدراسة

القراءات الواردة في سياق الآيات التي تناولت التربية الأخلاقية في سورة الحجرات.

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (55/1).

أهداف الدراسة

- 1 بيان المعاني الظاهرة والخفية المستنبطة والمستفادة في كل قراءة من القراءات الواردة في سياق آيات التربية الخلقية في سورة الحجرات.
- 2 إبراز المعاني المستنبطة والمستفادة من الجمع بين القراءات المتعددة في الآية الواحدة في سياق آيات التربية الأخلاقية في سورة الحجرات.
- 3 إلقاء الضوء على عظمة القرآن الكريم من خلال تنوع القراءات، وما ينبثق عنها من إعجاز بياني.

الدراسات السابقة

اهتم كثير من الباحثين في القراءات وأثرها في بيان المعنى بشكل عام، وبعد البحث والتحري في محركات البحث الإلكتروني، ومواقع الجامعات، والمراكز العلمية، لم يعثر الباحث على دراسة علمية مؤصلة مستقلة تناولت هذا الموضوع.

منهج الدراسة

اتَّبَعَ الباحث في هذه الدراسة المناهج العلميَّة الآتية:

- 1 المنهج الاستقرائي، ويتمثل في تتبع القراءات القرآنية الواردة في سياق آيات التربية الخلقية في سورة الحجرات، مع نسبة كل قراءة إلى قارئها.
- 2 المنهج التحليلي، ويتمثل في تحليل طرائق العلماء في توجيه القراءات القرآنية الواردة في سياق آيات التربية الخلقية الواردة في سورة الحجرات.
- 3 المنهج الاستنباطي، ويتمثل في بيان المعاني المستنبطة في كل قراءة من القراءات، وذكر المعاني المستفادة من الجمع بين القراءات الواردة في سياق الآية الواحدة.

تمهيد:**الفرع الأول: تعريف القراءات لغة واصطلاحاً****القراءات لغة:**

قال ابن فارس " القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون قرية الماء في المقرأة: جمعته، وذلك الماء المجموع قري، وإذا همز هذا الباب كان والأول سوا، يقولون ما قرأت هذه الناقة سلى كأنه يراد أنها ما حملت قط، قالوا ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك (1).

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (قري)، (78/5).

والقراءة ضم الحروف بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان. قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) ⁽¹⁾، وقال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به ⁽²⁾.

والخلاصة مما سبق أن القراءات جمع قراءة، وتأتي على معنيين، أحدهما: ضم الحروف بعضها إلى بعض، والآخر بمعنى الجمع. وعلى هذا فالقراءات تضم حروف وكلمات الآيات والسور ويجمعها مع بعضها في كتاب جامع.

القراءات اصطلاحاً:

ذكر بعض العلماء مجموعة من التعريفات الاصطلاحية للقراءات، تدور معظمها في فلك واحد، وإن كان بعضها أكثر شمولاً وإحاطة من الآخر، نذكر بعضها:

القراءات: هي علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع، أو يقال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزواً لناقله ⁽³⁾.

وعُرفت بأنها علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل، والمقرئ العالم بها وراها مشافهة، فلو حفظ "التيسير" مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة ⁽⁴⁾.

وخلاصة التعريفات يتبين أن القراءات علم يشتمل على عدة أمور: أولاً: كيفية النطق بألفاظ القرآن. ثانياً: كيفية كتابة ألفاظ القرآن. ثالثاً: مواضع اتفاق نقلة القرآن، ومواضع اختلافهم. رابعاً: عزو كل كيفية من كيفية أداء القرآن إلى ناقلها. خامساً: تمييز ما صح متواتراً أو أحاداً مما لم يصح مما روي على أنه قرآن.

الفرع الثاني: تعريف التربية لغة واصطلاحاً

التربية في اللغة: ترجع إلى أصلين لغويين كلٌّ منهما يحمل جملة من المعاني والدلالات:

الأصل الأول: ربا يربو رباءً، وربواً ويندرج تحت هذا الأصل المعاني:

أ- الزيادة والتنمية: (الرَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ) وَكَذَلِكَ الْمَهْمُوزُ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَى أَصْلِ وَاحِدٍ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْعُلُوُّ ⁽⁵⁾. ربا ربواً ورباءً زاد ونما، وارتبته وأربيته بمعنى نميته ⁽⁶⁾.

ب- نشأ وترعرع: يقال ربي فلان في بني فلان أي: نشأ فيهم ⁽⁷⁾.

ج- التغذية: ربيته تربية وتربيته أي غذوته وهو لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه ⁽¹⁾.

(1) القيامة: ١٧.

(2) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مادة (قرأ)، ص 668.

(3) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البناء، ص 6.

(4) منجد المقرئين، ابن الجزري، ص 9.

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (ربي)، (2/483).

(6) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، باب الواو والياء، (1/1286).

(7) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ربا)، (14/307).

الأصل الثاني: ربّ يربّ ويندرج تحته المعاني التالية:

- أ- الملك والقيام عليه وتديبر أموره: الرب هو الله عز وجل، هو رب كل شيء أي مالكة، فالرب يطلق في اللغة على المالك، والسَّيِّد، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمنعم؛ قَالَ: وَلَا يُطْلَقُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أُضِيفَ (2).
- ب- الإصلاح والإتمام: رب الضيعة أي أصلحها وأتمها. ورب الرجل ولده يربه رباً ورببه وتربيه بمعنى رباه (3).
- ج- الجمع والزيادة: رب جمع وزاد، ومن هذا الباب الربابة وهو العهد وسمي العهد ربابة لأنه يجمع ويؤلف (4).
- التربية في الاصطلاح:**

هناك عدة تعريفات اصطلاحية للتربية عند التربويين، ولعل أقربها للشمول ما يلي:

- أ- هي تنمية شخصية الإنسان على أن تتمثل كل الجوانب في انسجام وتكامل، حيث تتوجه معه طاقات الإنسان لتحقيق هدف واحد في ضروب السلوك ونبضات الوجدان (5).
- ب- عملية نمو واكتساب للخبرة، وتغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد والجماعة عن طريق تفاعل الفرد مع الكائنات والأشياء المحيطة به ومع البيئة العامة التي يعيش فيها (6).
- ج- استخراج ما لدى الفرد من قدرات كامنة وتنميته خلقياً وعقلياً حتى يصبح حساساً بالنسبة للاختيارات الفردية والاجتماعية، قادراً على العمل والنشاط الحقيقي بمقتضى ما يختاره منها (7).

الفرع الثالث: تعريف التربية الخلقية

الخلق لغةً: (الْخُلُقُ) بِسُكُونِ اللَّامِ وَضَمِّهَا السَّجِيَّةُ، وَفُلَانٌ (يَتَخَلَّقُ) بِعَيْرِ خُلُقِهِ أَي يَتَكَلَّفُهُ (8).

الخلق اصطلاحاً: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة: خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقاً سيئاً، وإنما قلنا: إنه هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال: خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال: خلقه الحلم،

(1) المرجع السابق، مادة (ربا)، (307/14).

(2) لسان العرب، ابن منظور، مادة (رب)، (399/1).

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، مادة (رب)، (130/1).

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (رب)، (382/2-383).

(5) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، للنحلاوي، ص28.

(6) فلسفة التربية الإسلامية، الشيباني، ص3.

(7) المدخل إلى التربية والتعليم، القضاة، ص17.

(8) مختار الصحاح، الرازي، مادة (خلق)، ص95.

وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخصٍ خلقه السخاء، ولا يبذل، إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، لباعث أو رياء⁽¹⁾.

وعلى هذا فالتربية الخلقية تعمل على تهذيب الغرائز، وتنمية العواطف الشريفة، وتقوية الإرادة الصالحة، ووثق السب العادات النافعة التي تجعل المسلم إنساناً فاضلاً⁽²⁾، وهي تعمل على تنشئة المسلم وتكوينه ليكون إنساناً متكاملًا من الناحية الخلقية بحيث يصبح في حياته مفتاحاً للخير مغلقاً للشر في كل الظروف والأحوال⁽³⁾، وكذلك تساعد المسلم أن يسلك في حياته ومجتمعه مسلكاً يتفق مع المبادئ والقواعد التي أمر الله تعالى بها أو نهي عنها، وتقوم على دعامين أساسيين، القواعد النهائية: بالتحذير من الأخلاق السيئة والأمر بالتخلي عن الرذائل والتطهير منها. والقواعد الآمرة: وذلك بالتحلي والإلتزام بالأخلاق الحميدة الفاضلة⁽⁴⁾.

المطلب الأول: التعريف بسورة الحجرات

الفرع الأول: مدخل لسورة الحجرات

سورة الحجرات مدنية بإجماع المفسرين⁽⁵⁾، وهي السورة الثامنة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المجادلة وقبل سورة التحريم وكان نزول هذه السورة سنة تسع، وعدّ جميع العادين أيها ثمان عشرة آية، وهي أول سور المفصل بتشديد الصاد ويسمى المحكم⁽⁶⁾، وسميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير سورة الحجرات وليس لها اسم غيره، ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ الحجرات، ونزلت في قصة نداء بني تميم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من وراء حجراته، فعرفت بهذه الإضافة⁽⁷⁾.

الفرع الثاني: أغراض السورة وموضوعاتها

سورة الحجرات سورة جليلة ضخمة، تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة، ومن حقائق الوجود والإنسانية، حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقاً عالية وأماماً بعيدة، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والتهذيب، ومبادئ التشريع والتوجيه، ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها مئات المرات!⁽⁸⁾.

(1) التعريفات، المرجاني، ص 101.

(2) كيف نربي أطفالنا، الإستانبولي، ص 14.

(3) دور التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، ص 22.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 23.

(5) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (5/144)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (16/300).

(6) ينظر: التحرير والتنوير، (26/213-214)، وينظر: جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، ص 89.

(7) المرجع السابق، (26/213).

(8) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/3335).

وتضمنت أحكاماً تتعلق بتنظيم المجتمع الإسلامي على أساس متين من التربية القوية، والأخلاق الرصينة، حتى إنها سميت سورة الأخلاق. وجاءت الآداب والأخلاق في هذه الصورة على نوعين: خاص وعمام. والآداب الخاصة: ما لها علاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأُمَّته. والآداب الاجتماعية العامة: وهي المتصلة بعلاقات الناس بعضهم مع بعض، مما فيه تقرير فضيلة ودم رذيلة، لإقامة دعائم المجتمع الفاضل⁽¹⁾. وسوف نعرض لهذه الآداب من خلال هذه الدراسة.

المطلب الثاني: خلق الأدب مع الله ورسوله

الفرع الأول: أدب عدم التقدم عليهما بالقول والفعل

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)⁽²⁾.

أولاً: القراءات الواردة في الآيتين الكريميتين

قرأ يعقوب (لَا تَقْدُمُوا) بفتح التاء والبدال، وقرأ الباقون (لَا تُقَدِّمُوا) بضم التاء وكسر الدال⁽³⁾.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

يقول ابن فارس: (قَدَمٌ) الْقَافُ وَالذَّالُّ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سَبْقٍ، وَالْقَدَمُ: خِلَافُ الْحُدُوثِ. وَيُقَالُ: شَيْءٌ قَدِيمٌ، إِذَا كَانَ زَمَانُهُ سَالِفًا⁽⁴⁾.

والقَدَمُ، مُحَرَّكَةٌ: السَّابِقَةُ فِي الْأَمْرِ، يُقَالُ: لِفُلَانٍ قَدَمٌ صِدْقٌ، أَي: أُنْتَرَهُ حَسَنَةً، وَقِيلَ: قَدَمٌ صِدْقٌ: الْمُنْزَلَةُ الرَّفِيعَةُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، قَالُوا: الْقَدَمُ وَالسَّابِقَةُ: مَا تَقَدَّمُوا فِيهِ غَيْرُهُمْ، وَالْقَدَمُ: (الرَّجُلُ) الَّذِي لَهُ مَرْتَبَةٌ فِي الْخَيْرِ وَمَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ (وَهِيَ بِهَاءٍ)، وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: رَجُلٌ قَدَمٌ وَأَمْرًا قَدَمَةً، يَعْنِي: أَنَّ لَهُمَا قَدَمٌ صِدْقٌ فِي الْخَيْرِ، وَالْقَدَمُ: (الشُّجَاعُ) مِنَ الرِّجَالِ كَالْقَدَمِ، بِالضَّمِّ، وَبِضْمَتَيْنِ، وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يُعْرَجْ وَلَمْ يَنْتَنِ كَأَنَّهُ يَفْتَحُ الْأُمُورَ يَتَقَدَّمُ النَّاسَ فِي الْمَشِيِّ وَالْحُرُوبِ، وَالْقَدَمُ: كُلُّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ⁽⁵⁾. والمعنى المراد في الآية الكريمة في قوله تعالى: (لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) أي: لا تتقدموه. وتحقيقه: لا تسبقوه بالقول والحكم؛ بل افعلوا ما يرسمه لكم كما يفعله العباد المكرمون، وهم الملائكة⁽⁶⁾، حيث قال: (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ)⁽⁷⁾.

ثالثاً: المعاني المستنبطة من القراءات ومن الجمع بينها

(1) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (26/212-213) بتصرف.

(2) الحجرات: ١.

(3) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (2/375-376).

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (قدم)، (5/65).

(5) تاج العروس من جواهر القاموس، الرازي، مادة (ق د م)، (33/235).

(6) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (قدم)، ص 661.

(7) الأنبياء: ٢٧.

قراءة (لا تُقَدِّمُوا) بضم التاء وكسر الدال أفادت معنى أن لا تقترحوا على الله ورسوله في أمور الدين. يقول الرازي: "تقديره لا تقدموا أنفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا تجعلوا لأنفسكم تقدماً ورأياً عنده"⁽¹⁾. أما قراءة (لَا تَقَدِّمُوا) بفتح التاء والدال، فقد أفادت النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله. يقول ابن منظور: "ومن قرأ (لَا تَقَدِّمُوا) فمعناه لَا تَقَدِّمُوا قبله"⁽²⁾ بمعنى لا تكونوا أمامهما، وتقدير ذلك أن لا تفعلوا فعلاً دون أن يكون لكم فيه إذن من الله ورسوله.

والخلاصة أن القرائتين جاءتا لتعالجا سلوكا أدبيا من خلال النهي عن عدم التقدم بين يدي الله ورسوله، وجاء النهي شاملاً، فلا يقدم قول، أو فعل، أو حكم، أو رأي، على قول الله ورسوله. يقول ابن القيم: فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهى عن التقدم بين يديه؛ فأى تقدم أبغ من تقدم عقله على ما جاء به؟ ومعلوم قطعاً أن من قدم عقله أو عقل غيره على ما جاء به فهو أعصى الناس لهذا النبي صلى الله عليه وسلم، وأشدهم تقدماً بين يديه، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته؛ فكيف يرفعوا معقولاتهم فوق كلامه وما جاء به⁽³⁾.

الفرع الثاني: أدب عدم رفع الصوت فوق صوت الرسول صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)⁽⁴⁾.

أولاً: القراءات الواردة في الآية

قرأ أبو جعفر (الحجرات) بفتح الجيم، وقرأها الباقون (الحجرات) بضمها⁽⁵⁾.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

الحجْرُ: المَنْعُ مِنَ التَّصَرُّفِ. وَحَجَرَ عَلَيْهِ الْقَاضِي يَحْجُرُ حَجْرًا، إِذَا مَنَعَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ. وَمِنْهُ حَجْرُ الْقَاضِي عَلَى الصَّغِيرِ وَالسَّفِيهِ، إِذَا مَنَعَهُمَا مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِمَا، وَالضَّمُّ وَالْكَسْرُ فِيهِ لِعَتَانِ، (كَالْحُجْرَانِ، بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ)، وَالْحَجْرُ: بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ؛ (حِضْنُ الْإِنْسَانِ). وَالْحَجْرُ: بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ: (الْحَرَامُ)، وَحَجْرٌ: (جَمْعُ حَجْرَةٍ، لِلنَّاحِيَةِ) كَحَمْرٍ وَجَمْرَةٍ، وَحَجْرَةٌ الْقَوْمِ نَاحِيَةُ دَارِهِمْ⁽⁶⁾.

ثالثاً: المعاني المستنبطة من القراءات ومن الجمع بينها

ذهب جل علماء اللغة والتفسير على أن القراءاتان بمعنى واحد، يقول الشوكاني: "الحجرات: جمع حجرة، كالعرفات جمع عرفة، والظلمات: جمع ظلمة، وقيل: الحجرات جمع حجر، والحجر جمع حجرة، فهو جمع الجمع. والحجرة: الرفعة من الأرض

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، (92/28).

(2) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قدم)، (467/12).

(3) ينظر: بدائع التفسير، ابن القيم، (5/3) بتصرف يسير.

(4) الحجرات: 4.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قدم)، (467/12).

(6) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، مادة (حجر)، (532-533).

المَحْجُورَةُ بِحَائِطٍ يَحُوطُ عَلَيْهَا، وهي فعلة بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ. قَرَأَ الْجُمُهورُ: الحُجْرَاتِ بِضَمِّ الجِيمِ. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ القَعْقَاعِ وَشَبِيهَةٌ بِفَتْحِهَا تَخْفِيفًا، وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبَّالَةَ: بِإِسْكَانِهَا، وهي لغات⁽¹⁾.

ويرى الباحث أن في قراءة الضم زيادة في المعنى، لما في الضم من ثقل وقوة. فالضم هو من أثقل وأقوى الحركات كما هو معروف لدى علماء اللغة والنحو، والنطق بالضم يحتاج إلى جهد عظمي أكثر من الكسرة والفتحة، وذلك لأنها لا تنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلا ذلك⁽²⁾، فتتابع الضمات في قراءة (الحجرات) فيها زيادة في قوة المنع من اقتحام الحجرات.

خلاصة الجمع بين القراءتين أن كلتا القراءتين أفادت حزمة اقتحام الحجرات على ساكنيها إلا بإذهم، والقراءة بالضم أفادت شدة هذه الحزمة، خاصة وأن الحديث هنا عن حجرات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: خلق الثبوت من الأخبار

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)⁽³⁾.

الفرع الأول: القراءات الواردة في الآية الكريمة ومعانيها

أولاً: القراءات الواردة في الآية

قرأ حمزة والكسائي وخلف (تَبَيَّنُوا) من الثبوت، وقرأ الباقون (فَتَبَيَّنُوا) من التبين⁽⁴⁾.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

يقول ابن زنجلة: (فَتَبَيَّنُوا) أي فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر⁽⁵⁾. و(فَتَبَيَّنُوا): أي فافحصوا واكشفوا⁽⁶⁾. و(بَيَّنُّهُ) بالكسر، و(بَيَّنُّهُ)، و(بَيَّنُّهُ)، و(بَيَّنُّهُ): أَوْضَحُّهُ وَعَرَّفْتُهُ، وَأَبَانَ الشَّيْءَ اتَّضَحَّ، وَأَبَّنْتُهُ: أَوْضَحْتُهُ، وَاسْتَبَانَ الشَّيْءُ: ظَهَرَ، وَاسْتَبَيَّنْتُهُ: عَرَفْتُهُ، وَتَبَيَّنَ الشَّيْءُ: ظَهَرَ، وَتَبَيَّنْتُهُ أَنَا⁽⁷⁾. ويقول ابن منظور: وَتَبَيَّنْتُ فِي الأَمْرِ والرَّأْيِ، وَاسْتَبَيَّنْتُ: تَأَنَّى فِيهِ وَمَ يَعَجَلْ. وَاسْتَبَيَّنْتُ فِي أَمْرِهِ إِذَا شَاوَرَ وَفَحَصَ عَنْهُ⁽⁸⁾.

الفرع الثاني: المعاني المستنبطة من القراءات ومن الجمع بينها

(1) فتح القدير، الشوكاني، (70/5-71).

(2) ينظر: شرح التصريح على التوضيح، الجرجاوي، (55/1)، وينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، السامرائي، ص 102-13.

(3) الحجرات: 6.

(4) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (251/2).

(5) ينظر: حجة القراءات، ابن زنجلة، (209/1).

(6) ينظر: المرجع السابق، (209/1).

(7) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، مادة (بين)، (297/34).

(8) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (تبت)، (19/2).

ذهب بعض المفسرين إلى أنه لا فرق بين القرائتين، وأن المعنى متقارب كالزخشي (1)، وأبو حيان (2)، والآلوسي (3)، وهو وهو طلب الثبات والبيان والتعرف، وذهب آخرون إلى أن هناك فرقاً بين القرائتين، منهم أبو علي الفارسي حيث يقول: "تثبتوا: أن التثبت هو خلاف الإقدام، والمراد التأني، ومما يقوي ذلك قولهم: تثبت في أمرك. ولا يكاد يقال في هذا المعنى: تبين. ومن قرأ: فتبينوا فحجته أن التبين ليس وراءه شيء، وقد يكون تبين أشد من تثبت، وقد جاء: "أن التبين من الله، والعجلة من الشيطان" (4)، فمقابلة التبين بالعجلة دلالة على تقارب التثبت والتبين، فاستعمل التبين في الموضوع الذي يقف فيه فيه ناظراً في الشيء حتى يقدم عليه أو يرتدع عنه. فالتبين على هذا أولى من التثبت" (5). وقال الشوكاني: "«فتبينوا» من التبين، التبين، و«فتثبتوا» من التثبت، والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر" (6). وقال ابن عاشور: فتبينوا من التبين، و«فتثبتوا» من التثبت. والتبين: تطلب البيان وهو ظهور الأمر، والتثبت التحري وتطلب الثبات وهو الصدق (7).

وعلى هذا فقد بينت قراءة (فتبينوا) معنى طلب الحقيقة في صحة الخبر، وهي مرحلة دراسة الخبر، والنظر إليه لمعرفة صدقه من كذبه، أما قراءة (فتثبتوا) فقد أفادت تأكيد المبالغة في البحث والتحري، حتى نصل إلى درجة التثبت، وهي مرحلة القطع، وإقامة الدليل الثابت على ما نقول أو يقولون، وكلمة تثبتوا هي من الثبات وعدم التغير. يقول ابن منظور: الثَّبْتُ، بِالتَّحْرِيكِ: الحُجَّةُ وَالْبَيِّنَةُ. وَأَثْبَتَهُ: عَرَفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ. وَأَثْبَتَ حُجَّتَهُ: أَقَامَهَا وَأَوْضَحَهَا (8).

ومن المعاني المستنبطة من الجمع بين القرائتين أنهما تعالجان حدثاً اجتماعياً مهماً، وهو عدم الاستعجال في اتهام الناس، والحكم عليهم بمجرد سماع خبر عنهم، فلربما صدر الخبر عن فاسق. وعلى هذا فلا بد من التحري والتثبت والتبين في نقل وسماع الأخبار، إلا أن قراءة (فتثبتوا) فيها زيادة ومبالغة في التمهل، والاستيضاح حتى يصل إلى مرحلة التثبت من صحة الخبر أو عدمه بالدليل القاطع. وكل ذلك من أجل الحفاظ على تماسك المجتمع المسلم، والحيلولة دون زعزعة أمنه وأستقراره.

المطلب الرابع: خلق الإصلاح بين المؤمنين

قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (9).

الفرع الأول: القراءات الواردة في الآية الكريمة ومعانيها

- (1) ينظر: الكشاف، الزخشي، (360/9).
- (2) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (33-32/4).
- (3) ينظر: روح المعاني، الآلوسي، (297/13).
- (4) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، رقم الحديث (2012)، (541/3).
- (5) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، (176-175/3).
- (6) فتح القدير، الشوكاني، (71/5).
- (7) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (231/26).
- (8) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ثبت)، (20/2).
- (9) الحجرات: 9 - 10.

أولاً: القراءات الواردة في الآية

قرأ يعقوب (إخوتكم) بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع، وقرأ الباقون (أخويكم) بفتح الهمزة والحاء وياء ساكنة على التثنية⁽¹⁾. وقرأ ابن سيرين وزيد بن ثابت وابن مسعود والحسن وعاصم الجحدري وحماة بن سلمة: «بين إخوانكم»⁽²⁾.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءتين

(الأخ) أصله أخوٌ بفتح الخاء؛ لأنه جمع على (آخاء) مثل آباء، والذاهب منه واو لأنك تقول في التثنية أخوان، وبعض العرب يقول أخان على النقص ويجمع أيضا على (إخوان) مثل حرب وخربان. وأكثر ما يستعمل (الإخوان) في الأصدقاء و (الإخوة) في الولادة⁽³⁾.

الفرع الثاني: المعاني المستنبطة من القراءات ومن الجمع بينها

أفادت قراءة (أخويكم) بفتح الهمزة والحاء وياء ساكنة على التثنية، بيان أن أقل عدد يقع بينه القتال والنزاع هو اثنان فصاعداً. قال ابن عطية: "وقرأ الجمهور من القراء: «بين أخويكم» وذلك رعاية لحال أقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر والجماعة متى فصل الإصلاح فإنما هو بين رجلين رجلين"⁽⁴⁾. وقال البيضاوي: "وخص الاثنان بالذكر؛ لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق"⁽⁵⁾. وقال أبو السعود: "وتخصيص الاثنان بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بالطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه"⁽⁶⁾.

وأما قراءة (إخوتكم) بالتاء فقد أفادت الجمع من أخ، باعتبار أن كل فرد من الطائفتين كالأخ للآخر في الدين، وأخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب⁽⁷⁾. أما قراءة: «بين إخوانكم» فهي حسنة. لأن الأكثر من جمع الأخ في الدين ونحوه من النسب إخوان. والأكثر في جمعه من النسب إخوة وإخاء⁽⁸⁾.

وبالجمع بين القراءات، تبين لنا أن الإصلاح بين المتقاتلين أمر واجب، فكل فرد من هؤلاء المتقاتلين من المسلمين هو أخ لكم، سواء كان العدد اثنين أو أكثر واجباً.

(1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (376/2).

(2) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (149/5). وهي قراءة شاذة.

(3) الرازي، مختار الصحاح، مادة (أخا)، ص14.

(4) المحرر الوجيز، ابن عطية، (148/5).

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (135/5).

(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (120/8-121).

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (322/16-323).

(8) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (149/5). وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (323 / 16)، وهي قراءة شاذة.

ومن المعاني المستنبطة من الجمع بين القراءتين أن الأخوة يترتب عليها الحب والسلام والتعاون، والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه، وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم ليردوهم إلى الصف، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة⁽¹⁾.

المطلب الخامس: النهي السخرية والتنايز بالألقاب

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)⁽²⁾.

الفرع الأول: أدب النهي عن اللمز

أولاً: القراءات الواردة في الآية

قرأ يعقوب (ولا تَلْمِزُوا) بضم الميم، وقرأها الباقون (ولا تَلْمِزُوا) بكسرها⁽³⁾.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءتين

(النبز) بفتحيتين اللقب والجمع (الأنباز)، و(نبزه) أي لقبه، و(تنازوا) بالألقاب لقب بعضهم بعضاً⁽⁴⁾.

ثالثاً: المعاني المستنبطة من القراءات ومن الجمع بينها

لم يفرق غالب علماء اللغة والتفسير بين القراءتين، منهم أبو منصور الأزهري حيث قال: "هما لغتان: لمزّه يلمزه ويلمزه، إذا عابه"⁽⁵⁾. وأبو الليث السمرقندي في تفسيره قال: "قرأ بعضهم ولا تَلْمِزُوا بضم الميم. وقراءة العامة: بالكسر، وهما لغتان. يقال: لمز فلان فلاناً، يلمز ويلمزه إذا عابه"⁽⁶⁾.

ويرى الباحث أن هناك ثمة فرق لطيف في المعنى بين القراءتين، ففي قراءة الضم (ولا تَلْمِزُوا) قوة وشدة، فالضم من أثقل وأقوى الحركات، وقراءة (ولا تَلْمِزُوا) جاء فيها ضممتين متتابعتين وبعدها واو، ولا شك أن هذا يزيد الثقل ثقل، ويُسْتَشْف من ذلك الزيادة والقوة في التحذير من اللمز. وبناءً على هذا فإن القراءة بالكسر، بينت حرمة لمز المسلم لأخيه المسلم. أما القراءة بالضم، فقد أفادت تعظيم جرم هذه الفعلية القبيحة من خلال عظم ثقلها، وقوة تأثيرها على من وقعت عليه، والله تعالى أعلم.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3343/6).

(2) المحجرات: ١١

(3) تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ص 391.

(4) مختار الصحاح، الرازي، مادة (نبز)، ص 303.

(5) معاني القراءات، الأزهري، (456/1).

(6) بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (311/3).

ومن المعاني المستنبطة من القراءتين أن في سياق الآية الكريمة تذكير المؤمنين بأنهم نفس واحدة من يلزمها فقد لمزها: «وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ»، واللمز: العيب. ولكن لفظة جرسا وظلاً، وكأنما وخزة حسية لا عيبة معنوية! ومن السخرية واللمز التنايز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعباءة. ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به، ومن أدب المؤمن ألا يؤدي أخاه بمثل هذا. وقد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء وألقابا كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المرهف، وقلبه الكريم، بما يزرى بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم⁽¹⁾.

الفرع الثاني: أدب النهي عن التنايز

أولاً: القراءات الواردة في الآية الكريمة

قرأ البرزي وصلاً (ولاً تَنَابَزُوا) بتشديد التاء مع المد المشبع. وقرأ الآخرون (ولا تَنَابَزُوا) بدون مد ولا تشديد⁽²⁾.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءتين

(النبز) بفتحين اللقب والجمع (الأنباز)، و (نبز) أي لقبه وبابه ضرب. و(تَنَابَزُوا) بالألقاب لقب بعضهم بعضاً⁽³⁾.

ثالثاً: المعاني المستنبطة من القراءات ومن الجمع بينها

أفادت قراءة (ولا تَنَابَزُوا) بدون مد ولا تشديد، النهي أن يدعو المرء صاحبه بلقب يسوءه، سواءً كان هو المخترع له أو لا⁽⁴⁾، وأما قراءة (ولاً تَنَابَزُوا) بتشديد التاء ومد الألف بالإشباع، أفادت المبالغة في النهي عن ارتكاب هذه المعصية لأن التشديد يدل على المبالغة كما هو معروف، والمد المشبع في (لا) الناهية، نستشف منه بُعد أثر الفساد الذي تحدثه هذه الألقاب في نفوس المؤمنين.

وعلى هذا فإن القراءات مجتمعة صورت لنا حرمة التنايز بالألقاب، وبالغت في تشديد ذلك؛ لما لها من آثار سلبية تنعكس على نفسية الأفراد في المجتمع المسلم.

المطلب السادس: أدب النهي عن التجسس والغيبة

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/3344) بتصرف.

(2) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (2/276)، وينظر: البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص301.

(3) مختار الصحاح، الرازي، مادة (نيز)، ص303.

(4) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (18-376-377).

(5) الحجرات: ١٢.

الفرع الأول: أدب النهي عن التجسس

قوله تعالى: (وَلَا تَجَسَّسُوا).

أولاً: القراءات الواردة

أولاً: قرأها البزي وصلاً (ولاً تجسسوا) بتشديد التاء مع المد المشبع. وقرأها الباقون (ولا تجسسوا) بدون مد ولا تشديد⁽¹⁾.
ثانياً: قرأ الحسن وأبو رجاء وابن سيرين والهدليون: «ولا تحسسوا» بالحاء غير منقوطة⁽²⁾.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

الجسُّ: المسُّ باليد، كالأجسس، وموضعه: المحسنة، وتفحص الأخبار، كالتجسس، ومنه: الجاسوس والجسس، لصاحب سر الشر. وجسه بعينه: أحد النظر إليه ليستشيت. (ولا تجسسوا): أي: خذوا ما ظهر، ودعوا ما ستر الله عز وجل، أو لا تفحصوا عن بواطن الأمور، أو لا تبحثوا عن العورات⁽³⁾.

الجسُّ: الجلبنة، والقتل، والإستئصال، ونفض الثراب عن الدابة بالمحسنة للفرحون، وبالكسر: الحركة، وأن يمر بك قريباً فتسمعه ولا تراه، كالجسس، والصوت، والجاسوس: الجاسوس، أو هو في الخير، وبالجميم في الشر، والتجسس: الاستماع لحديث القوم، وطلب خبرهم في الخير. وتجسس: تحرك⁽⁴⁾.

ثالثاً: المعاني المستنبطة من القراءات ومن الجمع بينها

بينت قراءة (ولا تجسسوا) بدون مد ولا تشديد حرمة التجسس على المسلمين، بينما أفادت قراءة (ولاً تجسسوا) بتشديد التاء مع المد المشبع والإدغام المبالغة في شدة النهي عن هذا الفعل؛ لما له من أثر بالغ على النفس، وقراءة المد مع الإشباع في (لا) الناهية نستشف منها طول مدى الفساد الناتج عن هذه الجريمة في حق المسلمين، ولا شك أنه يؤدي إلى تفكك المجتمع.

أما قراءة «ولا تحسسوا» بالحاء غير منقوطة، فذهب الأخفش إلى أن المعنى متقارب، ولا يبعد أحدهما عن الآخر. إلا أن التجسس يكتسب، ويوارى، ومنه الجاسوس، والتجسس (بالحاء) تخبر الأخبار، والبحث عنها، ومعنى الآية خذوا ما ظهر، ودعوا ما ستر الله، ولا تتبعوا عورات المسلمين⁽⁵⁾. ويقول ابن عطية: التجسس بالجميم في الشر. والتجسس بالحاء في الخير. وهكذا

(1) ينظر: البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص301.

(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، (82/9)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (151/5) وهي قراءة شاذة لا يقرأ بها إنما يستعان بها في التفسير.

(3) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (جسس)، ص536.

(4) المرجع السابق، مادة (جسس)، ص538.

(5) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، (82/9).

ورد في القرآن في قوله تعالى: (يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ) ⁽¹⁾، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال. وقال أبو عمرو بن العلاء: التحسس: ما كان من وراء وراء. والتحسس بالحاء: الدخول والاستعلام ⁽²⁾.

وقال الخطابي: (لا تتحسسوا) معناه لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها، قال الله تعالى حاكياً عن يعقوب عليه السلام: (يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ) ⁽³⁾، وأصل هذه الكلمة التي بالمهملة من الحاسة إحدى الحواس الخمس، وبالجميم من الجس بمعنى اختبار الشيء باليد، وهي إحدى الحواس فتكون التي بالحاء أعْم؛ لأنَّ أصل هذه الكلمة من الحاسة التي منها الحواس الخمس، وقال يحيى بن أبي كثير: بالجميم البحث عن عوراتهم، وبالحاء استماع حديث القوم، وقيل بالجميم البحث عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر، وبالحاء البحث عما يدرك بحاسة العين والأذن، ورجح هذا القرطبي، وقيل بالجميم تتبع الشخص لأجل غيره وبالحاء تتبعه لنفسه وهذا اختيار ثعلب ⁽⁴⁾.

والظاهر والله تعالى أعلم أن جميع ما ذكر في التفريق بين القراءتين أقوال مقبولة وحسنة، إلا أن أحسنها قولاً قول يحيى بن أبي كثير، فإنَّ مجرد محاولة المعرفة بالسمع أو البصر أو غيرها هو تحسس، أما تتبّع العورات والزلات فذلك تحسس. وعلى هذا فقد أفادت قراءة (لا تحسسوا) حرمة محاولة معرفة أخبار الناس حتى بالسمع وبالبصر، فإذا كان هذا حراماً فمن باب أولى أن يكون تتبّع العورات والزلات أكثر حرمة.

الفرع الثاني: أدب النهي عن الغيبة

قوله تعالى: (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) ⁽⁵⁾.

أولاً: القراءات الواردة في هذا المقطع

قرأها نافع (ميتاً) بتشديد الياء وكسرها. وقرأها الباقون (ميتاً) بإسكانها ⁽⁶⁾.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءتين

الموت: ضد الحياة. مات يموت ويمات أيضا فهو ميّت وميّت مشدداً ومخففاً، وقوم موتى وأموات وميتون وميتون مشدداً ومخففاً ويستوي فيه المذكر والمؤنث ⁽⁷⁾.

ثالثاً: المعاني المستنبطة من القراءات ومن الجمع بينها

(1) يوسف: 87.

(2) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (151/5).

(3) يوسف: 87.

(4) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (482/10).

(5) الحجرات: 12.

(6) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (224/2).

(7) مختار الصحاح، الرازي، ص 301.

ذهب كثير من المفسرين وعلماء اللغة إلى أن القراءتين متقاربتان وهما بمعنى واحد، قال الطبري: "وهما قراءتان معروفتان متقاربتان المعنى"⁽¹⁾. وقال أبو منصور: "مَنْ قَرَأَ (الْمَيْتَ) مشدداً فهو الأصل، ومن قرأ (الْمَيْتَ) مخففاً فالأصل فيه التشديد، وخفف، ونظيره قولهم: هَيِّنْ وهَيِّنْ، وَلَيِّنْ، وَلَيِّنْ والمعنى واحد في جميعها"⁽²⁾. وقال ابن زنجلة: "أصل الكلمة ميوت على فيعل فقلبو الواو ياء للياء التي قبلها فصارت مييتا فمن قرأ بالتخفيف فإنه استثقل تشديد الياء مع كسرها فأسكنها فصارت مييتا وزنه فيل ومن قرأ بالتشديد فإن التشديد هو الأصل وذلك أنه في الأصل ميوت فاستثقلوا كسرة الواو بعد الياء فقلبوها ياء للياء التي قبلها ثم أدغموا الساكنة في الثاني فصارتا ياء مشددة، واعلم أنهما لغتان معروفتان"⁽³⁾.

وذكر ابن عطية في تفسيره نقلاً عن أبي حاتم وغيره تفريقاً بين اللفظين، أن ما قد مات فيقال فيه: (مَيِّت) و (مَيْت)، وما لم يموت بعد فلا يقال فيه ميت بالتخفيف. وقال القاضي أبو محمد عبد الحق: هكذا هو استعمال العرب ويشهد بذلك قول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بمَيِّتٍ... إنما الميت ميِّتُ الأحياء.

واستراح من الراحة وقيل من الرائحة ولم يقرأ أحد بالتخفيف فيما لم يموت إلا ما روى البرقي عن ابن كثير (وما هو بمَيِّت) (إبراهيم: 17) والمشهور عنه التثقيب⁽⁴⁾. وفرق الزبيدي أيضاً بين اللفظين في كتابه تاج العروس فقال: «الميت» بتخفيف الياء: الياء الذي مات بالفعل، و«الميت» بالتشديد: و «المائت» على وزن فاعل: الذي لم يموت بعد، ولكنه بصدد ان يموت. قال «الخليل»: انشدني «ابو عمرو»:

أيا سائلِي تَفْسِيرَ مَيْتٍ وَمَيْتٍ... فَدُونِكَ قَدْ فَسَّرْتُ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
فَمَنْ كَانَ ذَا رُوحٍ فَذَلِكَ مَيْتٌ... وَمَا الْمَيْتُ إِلَّا مَنْ إِلَى الْقَبْرِ يُحْمَلُ⁽⁵⁾

وإلى مثل هذا التفریق ذهب الدكتور صلاح الخالدي في كتابه لطائف قرآنية، فقال: (الْمَيْتَ) بالتشديد هو الحي الذي فيه روح، و(الْمَيْتَ) بالتخفيف هو الذي خرجت روحه منه، فالْمَيْتَ (بالتشديد) مخلوق حي ما زال يعيش حياته، وينتظر أجله، ومجيء ملك الموت إليه ليقبض روحه، أي: أنه مَيِّت مع وقف التنفيذ! ولا يدري متى التنفيذ. أما (الْمَيْتَ) بالتسكين، فهو المخلوق الذي مات فعلاً، بأن خرجت روحه منه، وأصبح جثة هامدة. وكما أن صياغة الكلمتين وحركاتهما، توحى بهذا الفرق بينهما. فالْمَيْتَ، ياء مشددة، ولعلها إشارة إلى إقبال الإنسان الحي على حياته الدنيا، وانهماكه فيها، وحرصه عليها بكل ما أوتي من قوة وشدة. أما المَيْتَ الذي خرجت روحه فيأوه ساكنة غير متحركة، ولعلها إشارة إلى سكون الإنسان بعد خروج روحه وتوقفه عن الحركة⁽⁶⁾.

(1) جامع البيان، الطبري، (309/22).

(2) ينظر: معاني، القراءات، الأزهرى، (248/1).

(3) حجة القراءات، ابن زنجلة، ص159.

(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(5) تاج العروس، الزبيدي، مادة (موت)، (100/5).

(6) ينظر: لطائف قرآنية، الخالدي، ص63-66 بتصرف.

وبناءً على ما سبق، فإن قراءة (المَيِّت) بالتخفيف صورت الإنسان المغتاب كالذي يأكل لحم أخيه المسلم الذي خرجت روحه وأصبح جثة هامدة. وقد عبر عنه سيد قطب بقوله: إنه مشهد تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية. مشهد الأخ يأكل لحم أخيه وقد فارق الحياة⁽¹⁾.

أما قراءة (المَيِّت) بالتشديد فقد صورت الإنسان المغتاب بالذي يأكل لحم أخيه المسلم الحي الذي ما زالت فيه روحه، يعيش حياته، وينتظر أجله. لأن كل حي مَيِّت جال حياته على إعتبار ما سيكون، بدلالة قول الله عزَّ وجل لرسوله الكريم: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)⁽²⁾، وهذه القراءة أبلغ في الوصف، فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى، ومن هنا يكون الإنكار أشد. والقراءتان معاً تبيينان حرمة الغيبة، وأن إثمها يتفاوت بقدر الإساءة إلى الغائب⁽³⁾.

خاتمة:

الحمد لله الذي بعثته تتم الصالحات، فمن تمام النعمة والصالحات أن أعاني الله على إتمام هذا البحث فله الحمد والشكر على ذلك.

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج نجلها فيما يأتي:

أولاً: أن الاختلاف في القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وأن كل قراءة منها تبين وتضيف معنىً جديداً. ثانياً: أظهر اختلاف القراءات جمال التربية التربوية الخلقية من خلال المعاني الجديدة التي أضافتها في كل مقطع من مقاطع السورة الكريمة.

ثالثاً: ألفت الدراسة الضوء على عظمة القرآن الكريم وإعجازه من خلال تنوع وتعدد قراءاته.

رابعاً: كشفت الدراسة عن بعض الجوانب اللغوية والبيانية في بيان التربية الخلقية.

المصادر والمراجع

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهرير بالبناء، المحقق: أنس مهرة، (ط3)، (2006م - 1427هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- اتساع الدلالات في تعدد القراءات القرآنية، محمود محمد مهنا، وعيسى إبراهيم وادي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2017م

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط)، (1394هـ - 1974م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/3347).

(2) الزمر: ٣٠.

(3) ينظر: اتساع الدلالات في تعدد القراءات القرآنية، مهنا، وادي، (3/396).

- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (ط2)، (1412هـ - 1992م) دار الإصلاح، الدمام.
- أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (د.ط)، (د.ت)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د.م).
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، ط25، (1428هـ - 2007م). دار الفكر، بيروت.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط1)، (1418هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (د.ط)، (د.ت)، دار الفكر، بيروت.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، (د.ط)، (1420هـ)، دار الفكر، بيروت.
- بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية، جمعه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد، طبعة جديدة ومنقحة، (ط1)، (1427هـ)، دار ابن الجوزة، الرياض.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، (د.ط)، (د.ت)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1)، (1376 هـ - 1957م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، (ط1)، مكتبة النهضة، بغداد.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، (د.ط)، (د.ت)، دار الهداية، (د.م).
- تحبير التيسير في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، (ط1)، (1421هـ - 2000م)، دار الفرقان، عمّان.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (د.ط)، (1997م)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية: محمود عكاشة، (ط1)، (1426 هـ - 2005م)، دار النشر للجامعات، مصر.

- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ط1)، (1403هـ - 1983م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (د.ط)، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، (ط2)، (1418هـ)، دار الفكر المعاصر، دمشق.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، (ط1)، (1420هـ - 2000م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (ط3)، (1407هـ - 1987م)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.
- الجامع الكبير "سنن الترمذي"، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: د. بشار عواد معروف، (ط2)، (1998م)، دار الجيل، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط2)، (1384هـ - 1964م)، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، تحقيق: د. مروان العطية، د. محسن خرابة، (ط1)، (1418هـ - 1997م)، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.
- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زحلة أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، (ط2)، (1402هـ - 1982م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي، المحقق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاوي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، (ط2)، (1413هـ - 1993م)، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.
- دور التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، (ط1)، (1983م)، دار الشروق، بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، (ط1)، (1415هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد، (ط1)، (1421هـ - 2000م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط4)، (1407هـ - 1987م)، دار العلم للملايين، بيروت.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ط)، (1379هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ط1)، (1414هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.
- فلسفة التربية الإسلامية، عمر محمد التوم الشيباني، المنشأ العام للنشر والتوزيع والإعلام، (ط)، (1983م)، طرابلس.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (ط17)، (1412هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط8)، (1426 هـ - 2005م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ط3)، (1407هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، (ط1)، (1422هـ - 2002م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كيف نربي أطفالنا، تأليف محمود مهدي الإستانبولي، (ط2)، (1985م)، المكتب الإسلامي، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ط3)، (1414هـ)، دار صادر، بيروت.
- لطائف قرآنية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، (ط1)، (1992م)، دار القلم، دمشق.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط1)، (1422هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، (ط)، (1415هـ - 1995م)، مكتبة لبنان، بيروت.
- المدخل إلى التربية والتعليم، خالد القضاة، (ط)، (1418 هـ - 1988 م)، دار اليازوري العلمية، عمّان.
- المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، (ط1)، (1412 هـ - 1991 م)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (1399هـ - 1979م)، دار الفكر، (د.ط)، بيروت.

- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ط3)، (1420 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، (ط1)، (1412 هـ)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (ط3)، (د.ت)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (ط1)، (1420 هـ - 1999 م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المحقق: علي محمد الضباع، (د.ط)، (د.ت)، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]، بيروت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، (د.ط)، (د.ت)، القاهرة.